مجلة معالم
للدراسات الاعلامية والاتصالية

مجلة تصدر عن مخبر الاتصال والأمن الغذائي
كلية علوم الاعلام والاتصال-
جامعة الجزائر3

المجلد الثاني / العدد الثاني
ديسمبر 2020
ISSN 2716-9111
EISSN: 2800-0846

أنماط تلقي المنتجات الثقافية عبر وسائط الإعلام الجديدة

Patterns of receiving cultural products through new media

د/ خشة أحسن*

أستاذ محاضر أ، جامعة قالمة

الإيمايل: khaahcene@yahoo.fr

تاريخ الإستلام: 2020/07/02 تاريخ قبول النشر: 2020/09/13 تاريخ النشر: 2020/12/01

ملخص:

ما من شك في أن مفهوم " الثقافة" من أخطر المفاهيم، وما من شك في أن هناك غموضا كبيرا يكتنف ما يعرف باسم "الدراسات الثقافية"، خصوصا وأنها من نتاج فكر "ما بعد الحداثة " وما يطرحه هذا الأخير من قيم لا ينسجم بالضرورة مع مختلف الخصوصيات الثقافية.

من هما تهدف هذه الدراسة الى تناول موضوع أنماط تلقي المنتجات الثقافية عبر وسائط الإعلام الجديدة، حيث سيتم التطرق الى مفهوم الثقافة والى وسائط الاعلام الجديدة والانعكاسات الثقافية المحتملة وكذلك القراءة الثقافية

الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ أنماط التلقي؛ المنتجات الثقافية؛ وسائط الاعلام الجديدة؛ القراءة الثقافية

Abstract:

There is no doubt that the concept of "culture" is one of the most critical concepts, and there is no doubt that there is a significant ambiguity surrounding what is known as "cultural studies," especially since it is a product of "postmodernity" thought, and what the latter presents of values may not necessarily resonate with various cultural specificities. This study aims to address the topic of patterns of reception of cultural products through new media, where the concept of culture, new media, potential cultural reflections, and cultural interpretation will be discussed.

Keywords: Styles of reception; cultural products; new media; cultural reading

* خشة أحسن

1. مقدمة:

ما من شك في أن مفهوم " الثقافة" من أخطر المفاهيم، وما من شك في أن هناك غموضا كبيرا يكتنف ما يعرف باسم "الدراسات الثقافية"، خصوصا وأنها من نتاج فكر "ما بعد الحداثة " وما يطرحه هذا الأخير من قيم لا ينسجم بالضرورة مع مختلف الخصوصيات الثقافية. لذلك تبدو الحاجة إلى الاستفادة من أطر معرفية متعددة في تناول المنتجات الثقافية عموما، وهنا يمكن التمييز بين رافدين معرفيين أساسيين يؤطران الدراسات الثقافية، أولهما ينطلق من رؤية أكاديمية غربية لها قيمها وأجندتها الخاصة ومآربها في "الهيمنة" ومعتمدة على مقاربة وصفية لمسألة الثقافة، وثانيهما تنطلق من رؤية "شرقية" لها خصوصيتها القيمية، ومقاصدها الواضحة، ومعتمدة على مقاربة معيارية لموضوع الثقافة، وضمن هذا السياق الأخير آثرت في هذه الورقة محاولة التطرق إلى أوجه التمايز في طرائق تلقي المنتجات الثقافية عبر وسائط الإعلام الجديدة في ضوء اختلاف السياق الثقافي، ضمن المحاور الآتي :

أولا: مفهوم الثقافة بين " ما هو كائن" وما يجب أن يكون

ثانيا: وسائط الإعلام الجديدة والانعكاسات الثقافية المحتملة

ثالثا: المحتوى في وسائط الإعلام الجديدة والقراءة الثقافية

أولا: مفهوم الثقافة بين " ما هو كائن" وما يجب أن يكون.

1. الثقافة من زاوية وصفية موضوعية "ما هو كائن

يعرف تايلور الثقافة بأنها " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادة، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع (عزي، 2003، ص 103)

يتناول هذا النوع من التعاريف الثقافة بطريقة وصفية تتناول مكوناتها، وأبعادها، وأدوارها ونحو ذلك، ويبدو أن هذا النوع من التعاريف هو الأكثر تداولا في الأوساط الأكاديمية، خصوصا عندما تستند إلى ما تقدمه الأدبيات الغربية في هذا المجال، وتتأسس على وعي بدلالات المفهوم وتجلياته في الواقع.

وما يؤخذ على هذا النوع من التعاريف أن مجال الاستفادة من هذه المقاربة لمفهوم الثقافة محدود، خصوصا وأنها لا تتجاوز التناول السطحي للموضوع، وكأنه ما من مشكلة تطرح بالنسبة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، وتبدو المشكلة أكثر تعقيدا عندما يضفي البعض على الثقافة البعد الإسلامي، وتوصف الثقافة السائدة في البلاد ذات الغالبية المسلمة بأنها " ثقافة إسلامية" وهو تعبير مجانب للصواب، خصوصا إذا علمنا أن الثقافة السائدة في بعض البلاد الغربية مثال كبريطانيا، يبدو للوهلة الأولى أنها أقرب إلى القيم والأخلاق الإسلامية من الثقافة السائدة في البلاد ذات الغالبية المسلمة.

2. الثقافة من زاوية معيارية "ما يجب أن يكون":

يعرف مالك بن نبي الثقافة على أنها: " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" (بن نبي، مشكلة الثقافة 2015، ص 52).

يبدو من خلال هذا التعريف وكأن مالك بن نبي يطرح المسألة الثقافية من زاوية عالم ثالثية مقابل الزاوية الغربية، خاصة عندما يؤكد على اكتساب الثقافة بطريقة غير واعية من البيئة التي يعيش فيها الفرد، وهنا يحتمل أن تكون عملية الاكتساب ايجابية أو ذات أبعاد سلبية.

واستنادا لهذا النوع من التعاريف فإنه يتبين لنا من خلالها على وجه التحديد "مشكلة الثقافة" التي تعانيها مجتمعات العالم العربي والإسلامي عموما. ومن الناحية التفصيلية فإن مقاربة الثقافة من منظور معياري يمكننا من تحديد وهو ما يسمح بإجراء التجديد المطلوب ضمن المؤسسات المهمة في المجتمع بطريقة واعية ونافعة في إصلاح الخلل الموجود. ومن المؤسسات التي يمكن أن تضطلع بهذه المهمة نجد المدرسة وما يمكن أن تقدمه من مضامين ثقافية كفيلة بتحقيق التغيير المطلوب.

وتفصيلا لهذه الجزئية يشير بن نبي إلى بعض أوجه الخلل في المسألة الثقافية عندما يقول "فإن العلم الذي نتعلمه ونعلمه لأولادنا في المدارس والجامعات لا يؤدي وظيفة الثقافة، أو بعبارة أخرى لا يقدم المبررات الاجتماعية للأفراد ولا للمجتمع" (نبي، 2015، ص 100).

ثانيا: وسائط الإعلام الجديدة والانعكاسات الثقافية المحتملة

تجدر الإشارة إلى أن " كل اكتشاف في الاتصالات يحدث هزة ثقافية خاصة، فاكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز، واكتشاف الطباعة نقل الثقافة من الحالة الشفوية إلى المكتوب، واكتشاف الإذاعة والتلفزيون أدخل ثقافة سمعية بصرية، وأخيرا أدى اكتشاف الحاسوب والشبكات المعلوماتية كالأنترنت إلى بروز الثقافة التفاعلية" (عزي، 2003، ص 101).

1- استخدام الوسائط الإعلامية واكتساب القيم في المرحلة العمرية الأولى

تسارع العديد من الأسر تعريض أبناءها إلى الوسائط الإعلامية المختلفة ظنا منهم أنها تدمجهم في عالم التكنولوجيا والمعلوماتية والتفتح على اللغات منذ سن مبكرة. ويبدو أن هذا الاندفاع غير محسوب العواقب من جهتين أساسيتين على الأقل :

أولهما لغوي بحيث أن اللغة المكتسبة تبقى أدنى من المتوقع من إمكانية الاكتساب في وسط تفاعلي اجتماعي مباشر. وثانيها قيمي تتضمنه اللغة المستخدمة بمختلف أشكالها، وهو الأمر الذي يسهم في التشويش أو القيام مقام البديل في العملية التربوية والتنشئة واكتساب القيم، ومن ثم التأثير على الثقافة المكتسبة.

2- استخدام الوسائط الإعلامية بين تنمية الإنسان وإشباع الحاجات

من ضمن الكّتاب الذين قدموا ضبطا صريحا للفروقات بين ما يرتبط بالثقافة الأصيلة المتناغمة مع القيم وما يتعلق بالثقافة الجماهيرية التي لا تكترث إلا بالكم ولو كان على حساب القيم نجد "علي عزت بيغوفيتش" الذي يقول أن: "موضوع أي ثقافة هو الإنسان: فردا أو شخصية، أي الفردية المتفردة التي لا تتكرر. أما موضوع الثقافة الجماهيرية وهدفها، فهو الجمهور أو الإنسان "الجمهور". يملك الإنسان روحا، أما الجمهور فلا شيء لديه سوى حاجاته. ومن ثم، فكل ثقافة هي تنمية الإنسان، بينما الثقافة الجماهيرية مجرد إشباع للحاجات.

يبدو أن هناك تناغما في طرح المفكر "علي عزت بيغوفيتش" مع طرح المفكر مالك بن نبي، فيما يرتبط بالبعد الأخلاقي، الذي يتمحور حول تنمية الجانب الروحي للإنسان، وبين مركزية الأخلاق في بلورة فعالية الثقافة، يقول مالك بن نبي: " الأخلاق وحدها تضمن وحدة المجتمع، وصيرورة المجتمع، ووظيفة المجتمع (بن نبي، 2005، ص 109).

ما من شك فان الثقافة الجماهيرية مناسبة لتحقيق أجندات سياسية واقتصادية وحضارية، بحيث أن الترويج لها وتوسيعها عبر الفضاءات الإعلامية والتكنولوجية المتاحة يمكن من إعداد الأرضية المناسبة لتحقيق تعايش الفرد مع الوضع القائم في شتى المجلات، بما يكرس هيمنة أصحاب المصالح وعدم التفكير في تقديم البدائل المناسبة.

3- استخدام الوسائط الإعلامية الجديدة والتأثير على اللغة كوعاء للثقافة

تكمن التهديدات المحتملة على اللغة الأم تحديدا فيما يلي

أ- ما من شك في أن حضور اللغة العربية في الفضاء الالكتروني يعتبر رمزيا إذا ما قورنت بغيرها من اللغات، أو بالأحرى باللغة المهيمنة على أكثر من 80 في المائة مما هو مستودع في الانترنت. يضاف إلى الانتقال المحدود لكل ما يرتبط بتراثنا الثقافي من شكلها التقليدي الورقية إلى هيئتها الالكترونية.

ب- جاذبية وسائط التواصل الاجتماعي في أوساط المتلقين في عالمنا العربي يجعل منها فضاءً لتسويق للغة مكتوبة تحسب على اللغة العربية ، ولكنها تبدو مشوهة، تستبدل فيها الحروف العربية بحروف لاتينية، وتكون ممزوجة بعنف لفظي يفتقد إلى القيم، وبالتالي فهي حاضرة بأشكال لا تمت بصلات كبيرة للغة العربية الراقية.

4- استخدام الوسائط الإعلامية الجديدة والمحاكاة الثقافية

تتضمن هذه الوسائط بضاعة إعلامية متنوعة يختلط فيها الجيد بالرديء، إذا اعتمدنا المعيار القيمي أداة للقياس والتقييم، وهنا يكون مجال الاختيار مفتوحا للمتلقي لانتقاء ما يتناسب مع انتظاراته وبالأحرى حاجياته.

إن تلقي المضمون الثقافي المحمل بقيم غريبة عما هو مألوف في الثقافة الأصيلة، يحتمل أن ينتقل إلى مجال اقتناع الفرد ومن ثم إلى سلوكياته بعد ذلك، أي إلى مجال التجسيد الثقافي بعد ذلك. والوضع سيكون بالغ الخطورة عندما نضيف إلى أزمتنا الثقافية تشويشا ثقافيا آخر أو غزوا ثقافيا مركزا يمتد في فراغنا الذي يتميز بقلة الإنتاج الثقافي وهيمنة الجمهرة الثقافية على حساب النوعية.

5- استخدام الوسائط الإعلامية الجديدة بين دائرة التأثير ودائرة الاهتمام

يمكن استعارة مفهومي دائرة التأثير ودائرة الاهتمام التي أوردها ستيفن كوفي في كتابه "العادات السبع للناس الأكثر فعالية"، فدائرة التأثير هي الأولى بالتركيز لأنها تندرج ضمن سلطان الفرد ومسؤولياته، أما ما تعلق بدائرة الاهتمام فإنه لا سلطان للمرء عليها، وبالتالي فلا طائل من التركيز عليها، لأنها تستنزف الطاقة وتذهب بالمرء بعيدا عن دائرة التأثير. كما أن التركيز على هذه الأخيرة كفيل بتوسع مجال دائرة التأثير لتشمل مساحات أخرى من مجال دائرة الاهتمام. والعكس إذا استنزف الفرد طاقاته في دائرة الاهتمام فإنه تضيق مساحة دائرة التأثير. بالإسقاط على استخداماتنا للمحتوى الثقافي الآخر

عبر وسائط الإعلام الجديدة فإننا نتوقع توسع دائرة الاهتمام على حساب دائرة التأثير بالنسبة للمتلقي، ويبدو ذلك جليا في اتساع الزمن الإعلامي الذي يوظفه الفرد في الانغماس في مضامين ثقافية تبدو تافهة بالمقياس القيمي. كما يمكن أن نجد بعض الدارسين للآداب واللغات يفضلون متابعة الرواية ممشهدة إعلاميا على حساب قراءتها ورقيا، والفارق بين قراءة الرواية ومشاهدة الفيلم لا يمكن الاستهانة به .

ثالثا: المحتوى في وسائط الإعلام الجديدة والقراءة الثقافية

يجدر التمييز بين نوعين من تلقي محتويات وسائط الإعلام الجديدة لدى القارئ

أ- القراءة الحرفية

وهنا يحرص المتلقي على التعامل مع المحتوى الثقافي عبر وسائط الإعلام في حد ذاتها كإبداع منفصل عن كل إطار ثقافي، ذلك لأنها نتاج للفكر والإبداع الإنساني، والتنويع يكسب المرء آفاقا رحبة من الناحية الثقافية. فالعالم اليوم بمثابة قرية صغيرة، وهنا يحتمل أن تتشابه المحتويات الثقافية، وليس هناك فرق بين إبداع ثقافي أو آخر، ما دام يهدف إلى تنمية الإنسان، وتحضيره للتعايش مع كل الثقافات الحضارات، وهنا لا تمييز بين ما هو مناسب للتنشئة الثقافية وما هو مطلوب لمعرفة الآخر الذي يتمايز قيميا وأخلاقيا ودينيا. من أشهر القصص العربي التي تأثر بها الأدب الغربي هي قصة "حي بن يقظان" التي كتبها الفيلسوف " ابن طفيل" (500 هـ - 581 هـ) أي (1106م - 1185م) والذي ألف العديد من المؤلفات في الفلسفات والطبيعيات، والتي لم يتبق منها سوى حي بن يقظان وبعض المقاطع والأدبيات الشعرية موزعة هنا وهناك. (ابن طفيل، 2015، ص 5)

تتطابق القراءة الحرفية مع طريقة تلقي القارئ الأوروبي للمحتوى الثقافي، بحيث يبدو مستبعدا للإطار الديني في عملية التفسير، وربما كانت الأحداث التاريخية ومخلفات الحرب العالمية قد ألقت بظلالها على طريقة التلقي، إضافة إلى موجة العلمانية التي تكون قد فصلت بين القيم الدينية والإبداع الثقافي.

يصف مالك بن نبي طريقة تلقي المشاهد الأوربي وتأثره بأحد روائع شكسبير في قوله: " لقد تركزت المهارة الروائية كيما تؤدي بالموقف إلى هذا الحل الذي ادخر له الكاتب الانجليزي كل موارد عبقريته، ليثير في وجدان المتفرج أعظم قدر من الانفعال، لكن هذه العبقرية أوربية، وهذا المتفرج أيضا أوربي، فشخصيتهما منطوية على العناصر الذاتية نفسها، لأن جذورها تمتد في أرض واحدة، أمدتها باستعداد واحد لتقبل المؤثرات".

ب- القراءة الثقافية

والتي تبنى على فكرة أساسية مؤداها أنه من غير المتوقع أن يكون تفاعل القارئ مع المحتوى الثقافي تفاعلا حرفيا، منفصلا عن المصادر الأخرى التي تساعده في وضع أفكار النص ضمن سياق محدد، تتوجه المادة الثقافية إلى قارئ يتميز بإطاره المرجعي الذي يستوعب من خلاله المعاني والدلالات. وهنا يقوم القارئ بادراك المعاني والدلالات في ضوء الإطار الثقافي الذي يشكل الخلفية الأساسية

هل نتوقع أن يكون التلقي متوقفا على قراءة حرفية، تجعل المتلقي بلتعيا ويستأنس بكلامه وسط مستمعيه، ذلك أن التوسع الكمي لهذه النصوص الثقافية في الوسائط الإعلامية المختلفة يجعلها مادة

تتحرك ضمن المناخ الثقافي السائد، وهنا تكمن "حساسية" المعاني الأدبية المحتملة من خلال قراءات وتأويلات القارئين، أقصد تحديدا القارئ العام من جهة، ومن جهة أخرى ماذا نتوقع عندما تنتقل هذه الروايات إلى المجال التعليمي والأكاديمي فتصنع عقولا وتؤطرها وفقا لمعالم محددة.

تطابق القراءة الثقافية مع طريقة تلقي القارئ المسلم للنصوص الثقافية، بحيث يبدو متأثرا برواسب المرجعية الدينية أكثر من غيره، ولذلك فهي تحضر عنده كإطار مرجعي يشكل خلفية إدراك وتأويل الأعمال الأدبية، وربما يحتمل أن افتقاره للرصيد الثقافي عاملا مساعدا في إفراز هذا النمط من التلقي، خاصة وأن المسلم الذي يرجح أن يقصده مالك بن نبي قد يكون جزائريا وبالتالي فان الحقبة الاستدمارية وما بعدها أيضا تكون قد انعكست على طريقة انفعاله ونمط التلقي لديه. وفي هذا الإطار يشير مالك بن نبي إلى أن المشاهد المسلم يتعامل مع نفس الابداع الأدبي بكيفية مختلفة بحيث أن "جذور المتفرج المسلم فإنها تمتد في أرض أخرى، فذاتيته واستعداده للتقبل والانفعال مختلفان، ولذلك فقد يحدث أن نراه يضحك حيث يؤدي الموقف بالمتفرج الأوربي إلى البكاء. (بن نبي، 2015، ص 52).

المتفرج الأوروبي عامة يفكر في جو من الحساسية الجمالية، بينما يفكر المسلم في جو من الحساسية الأخلاقية، ومن أجل هذا لا يمكن أن يتشابه سلوكهما أمام المشهد الواحد. (بن نبي، 2015، ص 52)

خاتمة

ما من شك في أهمية الرواية والأعمال الأدبية عموما كوعاء لنشر القيم والثقافة في الوسط الاجتماعي، مما يمهد لإعداد المواطن الذي تتحقق به التنمية المطلوبة.

هناك أطروحات متباينة في تناول العمل الإبداعي، ولعل متغير القيم هو الذي يفسر هذا التباين بين من يدافع عن الاقتراب منها ومسايرتها ومراعاتها عندما نتوجه بها إلى القارئ .وهناك من ال يجد حرجا في الابتعاد عن القيم في عصر الفضاءات المفتوحة.

ويبدو أن هناك مسارا ثالثا قد يجمع بين المقاربتين السابقتين، بحيث أن الإبداع الثقافي عندما يكون موجها للتنشئة الثقافية التي تتم في السنوات الأولى من عمر الإنسان لابد أن يكون مراعيا للإرث الثقافي الأصيل، وهنا لابد أن تقترب من القيم وتساهم في إكسابها.

ذلك أن القيم التي تتأسس عليها الثقافات ليست محايدة، بل موجهة وفقا لمسار محدد ولذلك تحرص المجتمعات على لغاتها وثقافتها لئلا تتداخل مع غيرها أو تسمح بإحداث تشويش على القيم الأصيلة .

أما في المراحل المتقدمة من عمر الإنسان، يمكن التسليم بانفتاح القارئ على كل الأعمال الأدبية العالمية، وهنا يمكن أن يكون بمنأى عن أي تأثير سلبي محتمل.

الهوامش

1- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 103.

2- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 74.

3- المرجع السابق، ص 100.

4- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، ص 101.

5- مالك بن نبي، مجالس دمشق، دمشق، دار الفكر، 2005، ص 109.

6- ابن طفيل، حي بن يقظان، الجزائر، بجاية، دار تلانتيقيت، 2015، ص 52.

7- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، ط 17، 2015، ص52.

8-المرجع السابق، ص 53.